

2020

## الجدار الفاصل ما بين الإرث التاريخي والجيوپوليتيكا

احمد اغريب  
ahmadi@hebron.edu, جامعة الخليل

عبد القادر الجبارين  
jabareena@hebron.edu, جامعة الخليل

Follow this and additional works at: [https://digitalcommons.aaru.edu.jo/hujr\\_b](https://digitalcommons.aaru.edu.jo/hujr_b)



Part of the [Arts and Humanities Commons](#)

---

### Recommended Citation

Hebron University Research Journal-B (Humanities) - (مجلة جامعة الخليل للبحوث- ب (العلوم الانسانية) - (العلوم الانسانية) and اغريب, احمد  
Vol. 5 : Iss. 2 , Article 6.

Available at: [https://digitalcommons.aaru.edu.jo/hujr\\_b/vol5/iss2/6](https://digitalcommons.aaru.edu.jo/hujr_b/vol5/iss2/6)

This Article is brought to you for free and open access by Arab Journals Platform. It has been accepted for inclusion in Hebron University Research Journal-B (Humanities) - (العلوم الانسانية) by an authorized editor. The journal is hosted on [Digital Commons](#), an Elsevier platform. For more information, please contact [rakan@aarj.edu.jo](mailto:rakan@aarj.edu.jo), [marah@aarj.edu.jo](mailto:marah@aarj.edu.jo), [u.murad@aarj.edu.jo](mailto:u.murad@aarj.edu.jo).



## الجدار الفاصل ما بين الإرث التاريخي والجيوپوليتيكا

\*د. أحمد اغريب - د. عبد القادر الجبارين

كلية الآداب-قسم التاريخ- جامعة الخليل، فلسطين

### الملخص:

قررت الحكومة الإسرائيلية بناء الجدار الفاصل في حزيران (2002). ويبلغ طول الجدار حوالي (700) كم ويلتف حول الضفة الغربية ويفصلها عن بقية الأراضي الفلسطينية بما فيها القدس. ادّعت الحكومة الإسرائيلية أن الهدف من بناء هذا السور هو منع المخربين الفلسطينيين (المقاومين) من التسلل إلى إسرائيل. وهذا التبرير الإسرائيلي لم يقبل لا من الجانب الفلسطيني ولا من المحكمة الدولية. والهدف الحقيقي من وراء بناء هذا الجدار - كما يبين هذا البحث - هو تحقيق الأهداف الإسرائيلية التالية:

1. مصادرة المزيد من الأراضي الفلسطينية.
2. ربط المستوطنات الإسرائيلية في الأراضي الفلسطينية مع بعضها البعض.
3. طرد المزيد من الفلسطينيين خارج مناطق سكناهم.
4. عزل اليهود أنفسهم عن الآخرين والعيش فيما يسمى بالدولة اليهودية.
5. فرض الرؤيا الإسرائيلية في الحل السياسي للقضية الفلسطينية التي تجعل من المستحيل إقامة دولة فلسطينية قابلة للحياة.
6. المزيد من التحكم بالموارد الطبيعية التي تخص الفلسطينيين.

## Abstract :

The Israeli government decided to build the separation wall in June 2002. The wall is about 700 km, and it extends around the West Bank and separates it from the rest of Palestine including Jerusalem.

Israel claimed that the reason behind constructing this wall is to prevent Palestinian « terrorist » fighters from penetrating into Israel and killing the Israelis. This Israeli interpretation is accepted neither by the Palestinians nor by the international court.

The real reasons behind building such a wall, as this paper proves, are to achieve the following Israeli goals:

- 1) Confiscating more Palestinian lands.
- 2) Connecting the main illegal Israeli settlements in the Palestinian land .
- 3) Expelling more Palestinian outside their homes.
- 4) Separating themselves from others and living in the so- called pure Jewish state.
- 5) Imposing their version of the political solution for the Palestine issue which makes it impossible to establish a viable future Palestinian state.
- 6) Controlling the natural resources of the West Bank.

Finally, the paper concludes that Palestinians are facing a serious threat to their future, and they have to intensify their efforts in resisting the Israeli policies through popular passive resistance, intensive housing projects, well-guided media, and the reunification of Gaza and the West Bank.

## المقدمة:

متباين في أبعاده وأشكاله ؛ ليجعل من جغرافية هذه الأراضي بمكوناتها الطبيعية، والبشرية، والاقتصادية عاملاً أساسياً في تشكيل أطر هذا الصراع؛ وعليه فإن فكرة بناء الجدار الفاصل، الذي يعد من أهم الركائز الجيوسياسية التي يقوم عليها الفكر الصهيوني في الأراضي الفلسطينية، ولكي تحقق إسرائيل قبولاً محلياً ودولياً في إنشائها للجدار، لجأت إلى تسميات مضللة للرأي العام، منها ما يعرف بالسور الواقعي، وقد صادر جزءاً هاماً من أراضي الضفة الغربية، وجزءاً عشرات المدن

ارتتهن مصير الجغرافيا الفلسطينية بين مطرقة الأمن وسندان الاستيطان. حيث ارتكز السلوك الاستيطاني اليهودي في الأراضي الفلسطينية على الجيوبوليتكا الصهيونية، ذلك أن تطوّر العلاقة بين الأمن والاستيطان قد دخل طوراً جديداً بات فيها تغليب الأمن على الاستيطان أمراً لا مفرّ منه، بعدما وصلت الجيوبوليتكا الصهيونية إلى أقصى ما يمكن أن تصل إليه ، والصراع في الأراضي الفلسطينية

يتمثل في «سور لا يعرف له مكان، ولا بداية، ولا نهاية، ولا حتى حدود جغرافية»<sup>(1)</sup>، وهو أكبر مشروع استيطاني منذ احتلال الضفة الغربية في عام (1967)، لأن إمكانية وصول السكان الفلسطينيين إلى خلق معادلة جديدة من التوازن الديموغرافي، يخلق بشكل تلقائي جغرافيا سياسية جديدة مقلقة على الأراضي الفلسطينية للجيو بولتيكا الإسرائيلية، حيث تشير الأرقام الديموغرافية وبشكل مجرد بإمكانية التأثير على الوضع القائم حاليا، وعلق زعيم حزب المفدال الديني الوطني على موضوع الجدار بقوله: «أي إنجاز يريده الفلسطينيون أكثر ممّا حققوه من خلال إجبارنا على الانغلاق طوعية خلف الجدران الإسمنتية والأسلاك الشائكة»<sup>(2)</sup>، ولذلك نجد فكرة تبادل الأرض والسكان موجودة في معظم خطط ومشاريع التسوية الإسرائيلية.

وقد قال البروفسور الديموغرافي سوفر لشارون: ينبغي على الفور رسم حدود - جدار لإسرائيل- وإلا فإنّ العرب سوف يغرقوننا، فلا يعود للكيان اليهودي وجود، وبناءً على الخطة التي أعلنتها الحكومة الإسرائيلية في (30) إبريل نيسان (2006) فإنّ طول الجدار يبلغ (703 كم)، وهذه الخطة تعتبر التعديل الجديد ضمن سلسلة من التعديلات، حيث أنه ومقارنة بالخارطة السابقة كان طول مساره (670 كم)، والمعلنة بتاريخ (20) فبراير (2005)، والتي كانت أساسا تعديلا على مسارات سابقة مقترحة للجدار، والهدف هو فصل التجمعات السكانية الفلسطينية و محاصرتها في الضفة الغربية عن إسرائيل<sup>(3)</sup>، بالإضافة إلى الهدف السياسي للجدار من خلال فرض الحل الذي تريده إسرائيل للتسوية، فستولي من خلال الجدار على الأرض التي تريد الاستيلاء عليها، وتضمن بقاء الكتل الاستيطانية التي تريدها، وتحول مشروع الدولة الفلسطينية إلى كانتونات، تتحول

والقرى الفلسطينية، التي يسكنها حوالي (200) ألف فلسطيني، إضافة إلى مدينة القدس الشريف التي عزلها عن محيطها الفلسطيني، من خلال سد منافذ تواصلها جغرافياً مع الضفة الغربية، وبالتالي هو يبيد الجهود المبذولة لقيام الدولة الفلسطينية المتواصلة جغرافياً.

فإسرائيل تخلق جغرافيا جديدة في الأراضي الفلسطينية بمبررات عدة منها الأمن، فهناك استيطان متنامي على الأرض، ونهب للمياه، وتمزيق للتنظيم الجغرافي الفلسطيني. وبلا شك أنّ هدف الجدار، هو محاصرة أكبر عدد ممكن من السكان الفلسطينيين خلف الجدار، وضم مستوطنات إسرائيلية خاصة ذات الكثافة السكانية العالية الموجودة في الضفة الغربية إلى داخل إسرائيل مثل: معالي أدوميم، جفعات زئيف، إفرات، هار حوماه، أرئيل، و... أخرى. ولهذا أخذ الصراع الديموغرافي يزداد في مدينة القدس تمثل في تدفق اليهود المتدينين الذين أخذوا يحلون محل اليهود العلمانيين الذين بدأوا بمغادرة المدينة منذ سنوات، وهؤلاء عندهم أعلى نسبة مواليد إذ يصل عددهم إلى اثني عشر ولداً أو أكثر لتصبح الأقلية اليهودية أغلبية. نتيجة فلسفة السياسة السكانية الصهيونية.

فالجدار يؤكد الدور المركزي للديموغرافيا في الجيوستراتيجية الإسرائيلية الصهيونية. ففي عام (2002) خلال عملية السور الواقى شهدت الضفة الغربية جرائم ضد الجغرافيا الفلسطينية في جنين، ونابلس، ورام الله، وتدميراً هائلاً للبنى التحتية للمدن الفلسطينية.

وقد بدأت حكومة «شارون» بتاريخ 23/6/2002، ببناء جدار الفصل العنصري الممتد على طول الخط الأخضر مع الضفة الغربية، بدعوى منع تسلل المقاومين إلى إسرائيل، وقال «بينامين بن اليعازر» وزير الدفاع الإسرائيلي السابق: إنّ السور الواقى

## منهج الدراسة

اعتمد الباحثان المنهج الوصفي والمنهج التحليلي عند عرض مجموعة الأفكار والفلسفات التي شكلت الأساس لإنشاء الجدار، كما تقوم هذه الدراسة على أساس المنهج الإقليمي على اعتبار أن فلسطين التاريخية تعتبر إقليماً جغرافياً متكاملًا، وتشتمل على إقليمين سياسيين مختلفين بالأبعاد البشرية والسكانية كافة، وتركز الدراسة على المنهج الموضوعي في الإطار الإقليمي بحيث تدرس موضوعاً محدداً وهو بناء جدار الفصل والتأثيرات التي تنشأ أثناء وبعد عملية البناء، وتقوم بعرض الآثار وتحليلها التي ترتبت على بناء الجدار من حيث أثره على المكان. كما أن الدراسة تتناول الموضوع من خلال تحليل الدور الوظيفي؛ لوجود الجدار ومدى تأثيره على النشاط الاقتصادي والاجتماعي والسياسي للشعب الفلسطيني.

وفيما يتعلق بمصادر الدراسة فإنها تشمل على تقارير إحصائية صادرة عن مؤسسات رسمية فلسطينية وإسرائيلية ودولية، وعلى مصادر مكتوبة من شهود عيان عرب وإسرائيليون وأجانب، بالإضافة إلى الصحف والمواقع الإلكترونية ومشاهدة الكاتبين وخبرتهم العملية والعلمية.

## مصطلحات الدراسة

×- هناك تسميات مختلفة للجدار منها جدار الفصل، جدار العزل، الجدار الاستعماري، جدار الفصل العنصري، ولكن بالتأكيد ليس الجدار الأمني.

×- الجغرافيا السياسية: وهي تأثير الجغرافيا على السياسة وعلى قوة وضعف الدولة.

×- الجيوبوليتيكا: تعبير مركب من مقطعين geo وتعني الأرض politic وتعني سياسة وبالتالي هي علم سياسة الأرض.

×- الجيو استراتيجية: هي علم وفن استخدام القوة

إلى معازل لها بوابات للدخول والخروج، وتفصل بين القرى وأراضيها الزراعية تمهيداً لقطع صلة الفلاح بالأرض، ثم الاستيلاء عليها باعتبارها أرضاً بوراً.<sup>(4)</sup>

## مشكلة الدراسة

تتناقص مساحة الأراضي الفلسطينية يومياً نتيجة بناء الجدار والسلوكيات الاستيطانية الصهيونية الأخرى، وأصبح من الصعوبة بمكان إمكانية وسهولة التواصل بين التجمعات السكنية، مع مزيد من التحكم بالموارد الطبيعية، لا بل أصبح يلوح في الأفق تضائل فرصة قيام دولة فلسطينية متواصلة جغرافياً، وتتداخل المشكلة ما بين دواعي تاريخية أمنية وديموغرافية.

وتتمثل مشكلة الدراسة في التساؤلات التالية:

1. ما مفهوم الجدار؟
2. هل الجدار جزء من التخطيط التكاملي التطوري الإسرائيلي أم أنه استجابة أمنية مؤقتة وانعكاس لآثر تاريخي؟
3. هل الجدار يعزز الانفصال الديمغرافي؟
4. على ماذا تستند فلسفة الجدار؟
5. ما هو البعد الجيوسياسي للجدار؟

## أهداف الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى تحقيق ما يلي:

1. تنمية المفاهيم الجيوسياسية لدى القارئ.
2. تقييم عملية بناء الجدار وانعكاساته على الأرض الفلسطينية (أي البعد المكاني).
3. تحليل أثر الجدار سياسياً واقتصادياً وسكانياً ومستقبل فرصة قيام دولة فلسطينية.
4. إبراز الفلسفة التي يستند إليها الجدار وأبعاده الجيوسياسية.
5. إبراز البعد التاريخي للعنصرية اليهودية التي تمثلت من خلال بناء الجدار.

- المساحة المتبقية من الضفة الغربية (3090 كم<sup>2</sup>) تعادل 54.7% والتي ستقوم سلطات الاحتلال بتجزئتها إلى 8 مناطق تضم المدن الرئيسية ثم تقوم بتمزيقها إلى 64 معتزلاً فلسطينياً.
- دراسة استخدام نظم المعلومات الجغرافية في رصد وتقييم آثار بناء الجدار الفاصل على شبكة النقل البري في الضفة الغربية (وسام الدين محمد عبده 2006) حيث قام الباحث من خلال التقنية الجغرافية بتوظيف إمكانيات تحليل الشبكات التي توفرها في مقارنة التركيب الوظيفي لشبكة النقل البري وتعيين المسارات المثلى بين المراكز السكانية الأساسية في الضفة الغربية قبل إنشاء الجدار وما طرأ عليها بعد إنشائه وفي نهاية الورقة قام الباحث بعرض النتائج التي توصل إليها من خلال تعيين نوعية وكمية الآثار الممكن أن تنشأ عن الجدار ومن أهمها:

  1. تعرضت المسافات بين المدن الفلسطينية لزيادة بنسبة تتراوح ما بين (45%-60%).
  2. تعرضت بعض المدن الفلسطينية للعزل مثل مدينة قلقيلية.
  3. تضاعفت مجمل أطوال شبكة الطرق في الضفة الغربية إلى ما يقارب (60%) عما كانت عليه سابقاً.

- دراسة بعنوان جدار الفصل العنصري والمشروع الوطني الفلسطيني (رشيد قويدر 2004) تناولت هذه الدراسة أثر الجدار على الوضع الديموغرافي الفلسطيني، ثم مراحل بناء الجدار وموقف دول العالم من عملية بناء الجدار، وقالت الدراسة: إنَّ الجدار سيؤدي إلى حجب التجمعات السكانية في الضفة الغربية في كانتونات صغيرة تشكل الدولة الفلسطينية، وعلى مساحة تتراوح ما بين (45%-42) من مساحة الضفة الغربية حيث من المتوقع أن يصل طول الجدار ما بين (600-1000 كم)، إلا أنه لم يقم على خط 4 حزيران

- العسكرية والمعطيات الجغرافية في تحقيق أهداف الحرب.
- ×- الصراع الديموغرافي: هو مجموعة من الإجراءات الهادفة التي يتخذها شعب ما للتغلب على شعب آخر في منطقة ما خاصة في النواحي الكمية السكانية خلال فترة زمنية معينة.
- ×- الترانسفير: هي فكرة عميقة الجذور في النشأة والتاريخ والايديولوجيا الصهيونية، والترانسفير يعني الترحيل والطرده المباشر وغير المباشر للفلسطينيين من بلادهم.
- ×- العنصرية: هي نظرية تركز على الصفات العنصرية والمتمثلة في الصفات الطبيعية الوراثية الظاهرة في الجسم. كما أن العنصرية تقوم على الاقتناع بفكرة أن مجموعة معينة من البشر لا يمكن لها أن تندمج في نظام حضاري آخر مهما بذلت من جهود.

#### الدراسات السابقة

- دراسة الجدار الفاصل المسار والآثار (د. نعيم بارود 2007) تناولت الدراسة الفكرة منذ بدايتها وكيفية انقسام المجتمع الصهيوني اتجاهها إلى قسمين: قسم مؤيد، وآخر معارض، ثم وضحت الدراسة مراحل بناء الجدار الذي بلغ طوله (728 كم)، ويحيط بالضفة الغربية من جميع الجهات، وتم بناؤه على أربع مراحل، وقد ابتعد الجدار الفاصل عن خط الهدنة (الخط الفاصل بين فلسطين المحتلة عام 1948 و 1967) ما بين (100) متر إلى (22) كيلو متر. وقالت الدراسة إنَّ الجدار الفاصل قسم الضفة الغربية إلى ثلاث مناطق:
- منطقة أمنية شرقية على طول الغور بمساحة (1237 كم<sup>2</sup>)، وهي تعادل (21.9%) من مساحة الضفة الغربية.
- منطقة أمنية غربية بمساحة (1328 كم<sup>2</sup>) وهي تعادل 23.4% من مساحة الضفة الغربية.

لم يتعرضوا إلى سياسة سكانية مناوئة. إذ من المتوقع أن يتجاوز عدد الفلسطينيين عدد اليهود في فلسطين في أقل من عقدين من الزمن. واستنادا إلى ما سبق برزت فكرة ترحيل الفلسطينيين إلى الخارج كحل يريح إسرائيل من المواجهة الديموغرافية مع الفلسطينيين<sup>(6)</sup> مما يعني أن مؤشرات الديموغرافية الفلسطينية دخلت ميدان الصراع. إذ في عام 1967 كانت إسرائيل تريد من العالم أن يعترف بأنها استردت أرضاً ضاعت منها في التاريخ، لكن المحافل والأوساط الدبلوماسية الدولية لم تعترف بملكية إسرائيل للأراضي التي احتلت عام (1967)؛ لتشكل جملة من العوائق، (أمام الأدوات التنفيذية للجيوپوليتكا الصهيونية)، وبالرغم من ذلك تمارس إسرائيل سياسات تهدف إلى تضيق الخناق على السكان في المجالات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية.

ومن أجل تعزيز الديموغرافية اليهودية على حساب الديموغرافية الفلسطينية، وهو شعار رفع منذ بداية الهجرة اليهودية الأولى، وجاء على لسان الجنرالات الإسرائيليين مثل زئيفي زعيم حركة موليوت عندما قال: «إن علينا ألا نخجل من تحقيق فكرة الترحيل (الترانسفير) لسائر السكان غير اليهود»، واليوم أنا جئت أحتكم على تطبيق ما أوصت به المؤتمرات الصهيونية المتعاقبة منذ المؤتمر الصهيوني الأول في بازل في سويسرا عام (1897م)، لقد سبقني دافيد بن غوريون في تنفيذ المهمة التي أوكلت له» فأمر رجاله بعدم التردد بإنجازها، فشرعوا بها في اللد والرملة والنقب وفي الجليل)، كذلك مثير كهانا زعيم حركة كاخ السابق، فقد أكد هو الآخر ما قاله هذا المسؤول الصهيوني الكبير بقوله : «وهكذا يبدو أن نزوح الفلسطينيين العارم الذي تم بالقوة والإكراه هو نتيجة حتمية لتنفيذ الهدف الصهيوني الذي صاغ «حاييم وايزمن» شعاره تحت عنوان

1967 (خط الهدنة)، وتؤكد الدراسة بأن الجدار التهم خارطة الطريق كما أن مجمل المواقف الدولية حول الجدار أنه يؤدي إلى تعقيدات في تنفيذ خريطة الطريق، وبالتالي هو مشكلة خلافية يجب حلها لأنه يعيق عملية السلام.

- دراسة بعنوان جدار الفصل العنصري جرافة التطهير العرقي في القدس (د.عدنان حسين عياش 2005)

استعرض الباحث الآثار السلبية للجدار على مدينة القدس، حيث عزل خلف الجدار (55) ألف فلسطيني، وانقطاع الطلاب عن مدارسهم، ومنع سكان الضفة الغربية من الوصول إلى مدينة القدس، وقالت الدراسة إنَّ الهدف من بناء الجدار هو استبعاد عشرات الآلاف من المقدسيين خارج حدود مدينتهم، وخلق عقبات أمام قيام دولة فلسطينية متصلة جغرافيا، وتعزيز الهيمنة اليهودية على المدينة المقدسة.

### الجدار والمؤشرات السكانية

تتميز المواجهة الديموغرافية بين الفلسطينيين واليهود، في أن معدل التزايد السكاني الفلسطيني الطبيعي يتجاوز (3.3%) بالمائة، بينما لا يتعدى معدل التزايد السكاني لليهود داخل مستوطنات الضفة الغربية (2%)، ويُقدَّر عدد الفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة بما يقارب (4) مليون نسمة، فيما يُقدَّر عدد الإسرائيليين بما يقارب (6) ملايين نسمة، بينهم «مليون وربع نسمة هم من الفلسطينيين العرب الذين يحملون الجنسية الإسرائيلية<sup>(5)</sup>»، مما يعني أن فلسطين تضم خمسة ملايين نسمة من اليهود تقريبا مقابل أربعة ملايين ونصف نسمة من الفلسطينيين؛ وفي ظل انخفاض رغبة المهاجرين الوافدين اليهود إلى فلسطين على غرار الموجة الروسية، فإن العامل الديموغرافي في فلسطين سيعمل لصالح الفلسطينيين مستقبلا إذا



فهي ارض الميعاد التي وعدها الله إلى إبراهيم في قوله ( لنسلك أعطي هذه الأرض )<sup>(8)</sup>، كما أن هناك أرض ميعاد أخرى وعدها الله إلى موسى بعد خروج اليهود من مصر في قوله ( ... هذه هي الأرض التي أقسمت لإبراهيم وإسحاق ويعقوب قائلاً لنسلك أعطيها )<sup>(9)</sup>، كما صور الدين اليهودي الكنعانيين بأنهم أعداء وكفرة ويجب الابتعاد عنهم وعدم مصاهرتهم، وإبادتهم إن أمكن رغم أن الكنعانيين قد فتحوا لهم بلادهم ورحبوا بهم، فاليهود لا يريدون أن يُدنس الزرع المقدس برجاسات الأمم الأخرى، فإبراهيم يرفض أن يتزوج ابنة إسحاق من الكنعانيين، ويعقوب أيضاً لا يتزوج من خارج عشيرته حيث ورد في التوراه (فدعى اسحاق يعقوب وباركه وأوصاه وقال له لا تأخذ زوجة من بنات كنعان، قم اذهب إلى فدان أرام إلى بيت بتوئيل أبي أمك وخذ لنفسك زوجة من هناكى من بنات لابان أخي أمك)، وأبناء يعقوب يرتكبون جريمة ضد سكان شكيم؛ لان ابن حاكمها أراد أن يتزوج من ابنة يعقوب، وفي مصر نجد أن بني إسرائيل لا يندمجون مع السكان المصريين<sup>(10)</sup>، فوصايا موسى مشبعة بالعنصرية والانعزال والحقد والتعصب والتسلط واحتقار الشعوب الأخرى (هاأنا طارد من قدامك الأموريين والكنعانيين والحيثيين ....، احترز أن تقطع عهدا مع سكان الأرض التي أنت آت إليها )<sup>(11)</sup>. وفي نص آخر ( وقد اختارك الرب لكي تكون له شعبا خاصا فوق جميع الشعوب الذين على وجه الأرض )<sup>(12)</sup>. فهذه النصوص التوراتية التي يتوارثها اليهود جيل بعد جيل تعزز فيهم النظرة العنصرية والاستعلائية بأنهم شعب مختار فوق كل الشعوب، شعب لا يجوز أن يختلط بالأمم والشعوب الأخرى، وعليه أن يعود إلى الأرض المقدسة لينعزل تماما ويبتعد عن رجاسات الأمم الأخرى. واستندت فكرة الجدار العنصري إلى تاريخ اليهود

الاستيلاء على البلاد)<sup>(7)</sup>.... من هذا التحليل فإننا نستشف أهدافا سياسية للخطة الشارونية، فالجدار يشكل حلقة جديدة من حلقات العدوان على الشعب الفلسطيني، وينعكس بصورة سلبية على الحياة اليومية لمئات الآلاف من الفلسطينيين، ويحولهم إلى أسرى في معازل وكانتونات، يحتاج سكانها إلى تصاريح أمنية وإدارية صهيونية للخروج منها أو الدخول إليها،.... الخ، فمثلاً المرحلة الأولى لبناء السور في شمال غربي الضفة (جنين، طولكرم، وقلقيلية)، تبين أن (15) قرية - بما فيها نحو 14 ألفاً من السكان - وجدوا أنفسهم بين السور والخط الأخضر، وحسب التقديرات فإن 15 قرية أخرى في هذه المناطق ويسكنها 140 ألف مواطن فلسطيني، يتم إحاطتها بسور الفصل من ثلاثة اتجاهات: هذه القرى الثلاثون متوقع لها شروط عزل قاسية جداً.

### الجدار والعقيدة الصهيونية

تستند الجيوبوليتكا الإسرائيلية للأراضي الفلسطينية على التصورات التوراتية المبنية على ذاكرة تختزن شتى ضروب الصراعات السياسية والعسكرية. ففكرة الجدار العنصري ليست مستجدة في الفكر اليهودي، بل إنها عميقة الجذور في الدين، والتاريخ اليهودي، وفي الايدولوجيا الصهيونية، وتستند في الأساس على الدين اليهودي الذي ينكر الآخر ويعتبر اليهود أنهم الزرع المقدس والشعب المختار، واليهودية تنص على أن اليهود يشكلون عنصراً مميزاً على سائر العناصر البشرية، وشعباً متميزاً على الآخرين بخصائصه الفريدة، وإسرائيل اليوم تربط كيانها السياسي بالدين اليهودي وتستخدم الدين في اغتصاب الأرض والإنسان. ويعتبر اليهود فلسطين ملكاً لهم وعلاقتهم بها علاقة دينية وتاريخية، معتمدين على النصوص التوراتية المفعمة بالعدوان والعنصرية،



وكذلك الفرصة التي أتاحت لها أثناء حرب عام (1948)، حيث تمكنت الحركة الصهيونية من احتلال ما نسبته (77%) من مساحة فلسطين التاريخية وطرد حوالي (750) ألف فلسطيني من مدنهم وقراهم، والذين أصبحوا لاجئين في ما تبقى من فلسطين وفي مناطق الشتات في دول العالم، ولم يتبق في القسم المحتل من فلسطين عام (1948) إلا حوالي (160) ألف فلسطيني، يتمركزون في الجليل، والمثلث، والنقب، ومورست ضدهم كل الإجراءات التي من شأنها إجبارهم على ترك أرضهم والهجرة إلى الخارج، واستمرت إسرائيل في محاولاتها لتفريغ الأرض الفلسطينية بعد ذلك من خلال سياساتها الاحتلالية بعد عام (1967)، وعندما أدركت استحالة تنفيذ مخطط التفريغ هذا كما تريد وأدركت أن هناك شعب فلسطيني متمسك بأرضه، ومدرك للمخطط الصهيوني، أصبح الشعار الصهيوني الآن هو أن هناك شعب في فلسطين لا يرغب في وجوده، ولا بد من محاصرته وتقييد حريته، وعزله في معازل صغيرة من خلال بناء الجدار، وإلا فإن إسرائيل ستفقد طابعها اليهودي بسبب زيادة عدد السكان الفلسطينيين فيها<sup>(14)</sup>.

وبهذا السلوك السياسي عرف اليهود بالعنصرية الذي أكدته الجمعية العامة للأمم المتحدة عبر قرارها رقم (3379) الذي ينص على أن الصهيونية شكل من أشكال العنصرية<sup>(15)</sup>، لذلك يمكن القول أن اليهود عنصريين بالتراث والثقافة والممارسات اليومية ضد الفلسطينيين. والجدار الفاصل الذي تنشؤه إسرائيل بين الفلسطينيين واليهود في الضفة الغربية، لا يندرج فقط تحت هذا المعيار على الرغم من عنصريته، وإنما يخضع لمعيار آخر هو أمني جيوبوليتيكي، ولو بدقنا النظر في التاريخ الصهيوني وتركيبته، مرة أخرى نجد أن عقلية الجدار هي سياسة سادت وتواصلت منذ الهجرات اليهودية الأولى، حيث بني جدار لكل

في العصور الوسطى والحديثة، عندما عانى اليهود من الاضطهاد الديني والاجتماعي في أوروبا، بحيث عاشوا في أحياء خاصة بهم عرفت بالغيوتو، بحيث يمنع اليهودي من الاختلاط بالشعوب الأخرى وتفرض عليهم قوانين خاصة، وبقيت هذه الأحياء ملازمة لليهود في أوروبا حتى القرن التاسع عشر، وبداية القرن العشرين في روسيا، علما بأن كثيرا من المؤرخين يعتقدون أن فكرة الغيتو كانت بناء على طلب اليهود أنفسهم<sup>(13)</sup>.

استغلت الحركة الصهيونية هذه التعاليم الدينية العنصرية والرؤية الخاصة عن الأرض الموعودة وصهيون، والأرض المقدسة، كما استغلت الخصائص الانعزالية عند اليهود وحولتها إلى واقع من خلال إسقاطها على الحاضر، والاستيلاء على فلسطين وإقامة غيتو واحد كبير لجميع اليهود فيها، يكون على شكل قلعة يمكن الدفاع عنها.

وقد انطلقت الحركة الصهيونية في دعايتها من منطلق أرض بلا شعب، وبدأت بتهجير اليهود من مختلف أنحاء العالم إلى فلسطين بموجات متعاقبة من الهجرة، وبدأت تتحالف مع القوى الاستعمارية وعلى رأسها بريطانيا لتسهيل هذه المهمة، إلى أن حصلت على تصريح بلفور عام (1917)، الذي يتساوق مع هذه المقولة الصهيونية عندما أقر بالعطف على إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، بحيث لا يتعارض مع الحقوق المدنية والدينية للطوائف غير اليهودية في فلسطين، فالفلسطينيون الذين يشكلون (95%) آنذاك من السكان نظر إليهم ككائنات غير مرئية، بينما اليهود الذين يشكلون (5%) من السكان هم الأصل ونواة شعب يعود إلى أرض الميعاد التوراتية. وقد حاولت الحركة الصهيونية وبالتعاون مع سلطة الانتداب البريطانية تفريغ الأرض من سكانها طيلة فترة الانتداب، واستغلت الفرصة السانحة لها بعد صدور قرار تقسيم فلسطين في 29 / 11 / 1947،

كما تنعته إسرائيل هدفه حماية كيانه على حساب الآخرين، نستحضر هنا المنطقة الجنوبية اللبنانية عندما أطلق عليها الإسرائيليون الحزام الأمني وهو خارج حدودها<sup>(18)</sup>، وكلمة السور في البعد الثقافي النفسي الإسرائيلي تعني الفصل والانفصال، فاليهودي عبر تاريخه القديم والمعاصر سعى للتميز عبر إطلاق شعار (شعب الله المختار) والانفصال عبر العيش في (الغيتو)، ويعتبر أن مهمته إلهية وحربه عادلة، وفي رؤية لثيودور هرتزل تحدثت عن الدولة اليهودية كعنصر من عناصر (حاجز الدفاع ضد آسيا)، وبن غوريون دعا لإيجاد (جدار بشري) على طول حدود إسرائيل؛ مروراً (بالجدار الحديدي) الذي دعا إليه زئيف جابوتنسكي في وجه العرب، حيث كان جابوتنسكي ينطلق من أن التجربة الاستيطانية ستواجه بمقاومة السكان، والحل يكمن في أن يقيم المستوطنون الصهاينة حائطا حديديا على أنفسهم، ويبتشون بالسكان المحليين حتى يسلموا بالتنازل واقتسام الأرض مع المستوطنين، وقد طلب في بداية القرن العشرين من تشارلز بتهارت، الخبير البريطاني لشؤون الإرهاب، بوضع خطة لإقامة جدار على طول محاور الطرق الرئيسية من الحدود اللبنانية في الشمال وحتى بئر السبع.<sup>(19)</sup> وتواصلت فكرة بناء الجدار إلى ما بعد حرب (1967)، من خلال شارون عام (1983)، وعام (1990) في محاولة منه لاستباق أي حل سياسي، والعودة في النهاية إلى مخطته الذي يقضي بإقامة الدولة الفلسطينية على مساحة 42% من أراضي الضفة الغربية فقط، محاطة بإسرائيل من كل الجهات، وعزل القدس.<sup>(20)</sup>

مستعمرة. وعملية الفصل بين اليهود وغيرهم من الأمم كانت وما زالت من أهم ركائز الصهيونية، وهذا ما عبر عنه الكاتب حاييم هنبغي عندما قال: « منذ بداية الصراع قبل نحو مئة عام، كانت لدينا - أي لدى اليهود - مئة سنة من الفصل أحادي الجانب، والدولة التي كانت على الطريق كانت قائمة جميعها على الفصل، وكذلك الحرب التأسيسية للدولة الناشئة، وعمليات التطهير العرقي، وأيضاً الحكم العسكري ومصادرات الأراضي والممتلكات، وكل ما يندرج في إطار السياسات السكانية، وما تم تنفيذه داخل الخط الأخضر وأيضاً داخل المناطق التي احتلت في حزيران عام (1967) استند إلى سياسة الفصل أحادي الجانب»<sup>(16)</sup>.

نلمس مما سبق؛ تلازم مصطلحي الجغرافيا السياسية والجغرافيا الإستراتيجية، ومسألة الجدار الذي تعتبره إسرائيل حدودها الأمنية والسياسية رغم أنها لم تحدد حدود كيانه السياسي؛ لأنها دولة تخشى الحقائق الديمغرافية الفلسطينية ككتل بشرية متنامية تعيش داخلها، أو بجوار أراضي استولت عليها مثل القدس والشريط الحدودي باعتبارها تشكل خطراً داهماً على مستقبل إسرائيل؛ كدولة يهودية صهيونية أثنية. فمن المعلوم وفق مبادئ القانون الدولي أن الاحتلال الحربي بطبيعته هو أمر مؤقت، لذا لا يجوز لها أن تقيم أي منشآت يراود لها الدوام، وعليها أن تحافظ على ممتلكات الأفراد والممتلكات العامة وألا تحاول تغييرها<sup>(17)</sup>. لأن بناءه جاء على أرض محتلة يغير طبيعتها، كذلك لم تعد هنالك ثقافة سياسية تقبل هذا النوع من الجدر الأسمنتية تنتهك مصالح الناس اليومية، وتفصل بين الشعوب والكيانات السياسية.

تقوم فلسفة أي جدار على الفصل بين دولتين كحدود متفق عليها بين طرفين دون تفرد إحدى الطرفين بشكل أحادي الجانب، بينما السور الواقعي

## الجدار يرى النور

بعد أن وصلت مفاوضات كامب ديفيد 2 تموز يوليو (2000) إلى طريق مسدود، وثبت أن إسرائيل لا تريد أن تقدم للفلسطينيين حلاً مقبولاً، حيث قدمت القيادة الفلسطينية أقصى ما يمكن التنازل عنه : الاعتراف المسبق بإسرائيل، والموافقة على القرارات: 194، 242، 338، أي التخلي عن ثلثي فلسطين التاريخية، ورضيت بدولة مستقلة في الضفة الغربية والجزء الشرقي من مدينة القدس كعاصمة (22% من أرض فلسطين التاريخية)، ووصلت الأمور إلى حائط مسدود، وكانت الزيارة الاستفزازية لشارون إلى المسجد الأقصى في (28/9/2000م) التي فجرت الشارع الفلسطيني: «سياسياً واقتصادياً، ودينياً، وثقافياً ونفسياً»<sup>(21)</sup>. ورافق ذلك صعود شارون لرئاسة الوزراء فبدأ فعلياً بإقامة الجدار وفق خطته، وأوعز لوزير «أمنه الداخلي»، موشيه شاحل، بوضع خطة للفصل، في المقابل عبرت بعض الأحزاب عن رفضها لفكرة بناء جدار فاصل ورأت أن الجدار يحدد دولة إسرائيل القائمة أصلاً على التوسع، ونتيجة الضغوط من قبل الشارع الإسرائيلي بدعوى الحجج الأمنية بدأ الجدار يظهر على الأرض، وغدت جميع المدن الفلسطينية مدناً حدودية. أي هو مشروع ذو أبعاد عقائدية وجيوسياسية وديمقراطية واستراتيجية وأمنية واقتصادية و.. والمخطط يتحدث عن إقامة كيان سياسي فلسطيني لا يتمتع بوحدة وسيادة جغرافية.<sup>(22)</sup>

بدأت معالم تنفيذ الخطة التي رسمها شارون في منتصف عام (2002) من خلال مصادقته على عدة قرارات لوضع اليد على مئات الدونمات من أراضي المواطنين الفلسطينيين، وشرعت حوالي (250) جرافة إسرائيلية بتسوية الأرض لبناء الجزء

الأول من الجدار<sup>(23)</sup>. فدخلت المواجهة الفلسطينية الإسرائيلية بهذه الطريقة مرحلة جديدة، وعملت إسرائيل على تفكيك بنية السلطة الفلسطينية، الأمنية منها والمدنية، على نحو يمكن من إعادة تركيبها وفق مواصفات تنسجم مع مفهوم الليكود للحكم الذاتي، وتوفير المناخ المناسب لبروز قيادة فلسطينية مطاوعة للإملاءات الإسرائيلية<sup>(24)</sup>.

إن الإستراتيجية السياسية والعسكرية الإسرائيلية نفذت مشروعها في بناء الجدار العازل بإقامة حزامين عازلين طوليين حزام في شرق الضفة بطول غور الأردن وحزام آخر غرب الضفة على طول الخط الأخضر بعمق (5-10 كم)، وكذلك إقامة حزام عرضي بين الحزامين الطويلين وتكون بمثابة ممر بين منطقة جنوب «طولكرم» ومنطقة «نابلس» حتى غور الأردن مما يؤدي إلى تقسيم المناطق الفلسطينية إلى 4 كتل رئيسية جنين، نابلس، ورام الله، بيت لحم والخليل، كما يطوق الجدار العازل مدن طولكرم وقلقيلية والقدس بالكامل ويعزلها عن محيطها الطبيعي في الضفة الغربية، وبذلك تكون نجحت إسرائيل في عزل مناطق تركّز السكان الفلسطينيين عن بعضها البعض، وتقييد حرية التنقل، ناهيك عن نزوح سكان المناطق المتاخمة للجدار، فهناك (4) آلاف نسمة تركوا قلقيلية وقد يصل لعشرة آلاف، وبما أن الاسرائيليين لا يكشفون عن الخرائط التفصيلية للجدار، فالأرقام غير ثابتة بالنسبة لطول الجدار<sup>(25)</sup>، ولا يلتزم مساره الغربي بالخط الأخضر، وإنما ينحرف شرقاً ليتوغل في الكثير من المناطق؛ ليضمّ مستوطنات يهودية وأراضي فلسطينية، والجزء الشرقي من السور يلتف حول التجمعات والمدن الفلسطينية بحيث يفصلها عن منطقة غور الأردن، ويلغي أية حدود للفلسطينيين مع المملكة الأردنية الهاشمية، ويحول العديد من المدن والقرى الفلسطينية التي يمر بها إلى كانتونات

ألف دونم) على ما كانت عليه في العام (2006). كما بين المسار الجديد للجدار زيادة في طوله ليصبح (770) كيلومتر أي بزيادة قدرها (67) كيلومتر (9.5%) على ما كان عليه في العام 2006. هذا وقد جاءت التغيرات الجديدة في مسار الجدار ومساحة الأراضي المعزولة خلفه في منطقتين، الأولى تقع في جنوب شرق الضفة الغربية في منطقة جنوب غور الأردن بمحاذاة المناطق الطبيعية، حيث تم إقرار امتداد للجدار الفاصل من جنوب محافظة الخليل باتجاه الشمال الشرقي، والذي على أثره تم إضافة (53.5) كيلومتر على طول الجدار هناك، عزل على أثرها (153.780) ألف دونم ما بين امتداد الجدار الجديد والخط الأخضر على جانب البحر الميت. كذلك أدت الإضافة الجديدة لمسار الجدار إلى عزل جزء من الحقوق الفلسطينية في منطقة البحر الميت، حيث تم عزل ما مساحته (71) كيلومتر (37%) من مجموع (194) كيلومتر وهي المساحة الكلية المخصصة للفلسطينيين هناك. وتجدر الإشارة هنا بأن الجيش الإسرائيلي قد قطع الطريق على الفلسطينيين للوصول إلى مناطق البحر الميت، أما التغير الآخر فقد ظهر في منطقة شمال غرب رام الله حيث تم إضافة مقطع بطول (13.5) كيلومتر ليضم مستوطنتي نيلي ونعله وعزل مساحة إضافية قدرها (4140) دونم<sup>(27)</sup>.

### التركيب الإنشائي للجدار

1. أسلاك شائكة لولبية، وهو أول عائق في الجدار.
2. خندق بعرض (4) أمتار، وعمق خمسة أمتار يأتي مباشرة بعد الأسلاك الشائكة.
3. شارع مسفلت بعرض (12) متراً، وهو شارع عسكري لدوريات المراقبة والاستطلاع.<sup>(28)</sup>
4. يليه شارع مغطى بالتراب والرمل الناعم بعرض 4م؛ لكشف آثار المتسللين، ويمشط هذا المقطع

ومناطق معزولة عن بعضها البعض<sup>(26)</sup>. من جانب آخر لا يلتزم الجدار بشكل أساسي بمسار الخط الأخضر لعام (1967) إنما يركز على الحواجز الطبوغرافية والديموغرافية حيث يتعرج في الكثير من المناطق لضم مستوطنات يهودية وأراضي فلسطينية إلى إسرائيل. وتوضيحاً لذلك فلا بد من الإشارة إلى مراحل بناء الجدار، فقد مر بناؤه بخمسة مراحل: المرحلة الأولى والتي أطلق عليها اسم طريق أخرى (أ) والتي بدأ العمل بتنفيذها في (28/6/2002) وانتهى بنهاية تموز (2004) حيث استكمل خلالها بناء حوالي (143) كيلومتر امتدت من قرية سالم شمالاً جنيناً إلى جنوب قلقيلية مروراً بمحافظة طولكرم، والمرحلة الثانية التي أطلق عليها اسم طريق أخرى (ب) تم المصادقة عليها في مطلع عام 2003 واستكمل فيها إقامة الجدار في شمال شرق الضفة الغربية، والمرحلة الثالثة والتي تسمى طريق أخرى (ج) وتمتد من جنوب قلقيلية وحتى معسكر بيتونيا (عوفر) ويبلغ طولها (230) كيلومتر، والمرحلة الرابعة المسماة طريق أخرى (د) تبدأ من بيت جالا جنوب القدس حتى منطقة عراد في الجنوب ويبلغ طولها (140) كيلومتر، والمرحلة الخامسة وتشمل استكمال بناء الجدار في الجهة الشرقية وبطول (200) كيلومتر.

### الواقع الحالي للجدار الفاصل

في الثاني عشر من أيلول (2007)، كشفت وزارة الدفاع الإسرائيلية على صفحتها الإلكترونية المسار الجديد والمعدل للجدار بخلاف المسار السابق الذي أعلنت عنه في الثلاثين من نيسان (2006)، حيث أظهرت التغيرات الجديدة زيادة في مساحة الأراضي المعزولة خلف الجدار الغربي لتصبح (712,920) ألف دونم أي زيادة قدرها (28.5%) (157,920)

المرتين يومياً صباحاً ومساءً .  
5. ويلي الشارع الجدار، وهو عبارة عن جدار إسمنتي بارتفاع (8) أمتار ويعلوه سياج معدني إلكتروني بارتفاع أكثر من ثلاثة أمتار، رُكب عليه معدات إنذار إلكترونية وكاميرات وأضواء كاشفة وأبراج عسكرية يبعد الواحد عن الآخر بين (200) الى (300) متر وغيرها من عناصر البنية التحتية الأمنية.  
6. وبعد السياج (الجدار الواقعي) أنشئ شارع رملي وترابي ثم شارع مسفلت وبعدها خندق مماثل للخندق الأول، ثم الأسلاك الشائكة اللولبية.  
7. يوجد للسور حسب المصادر الاسرائيلية (53) بوابة يمنع الفلسطينيون من دخول 38 منها بينما تحتاج البوابات الاخرى الى تصاريح خاصة لعبورها (29).

### مخاطر الجدار

الأخطر هنا هو محاولة قطف الثمار السياسية للعدوان، وهي محاولة منسقة بين الولايات المتحدة وإسرائيل، إذ يجري العمل باتجاهين الأول: والأكثر إلحاحاً هو إعادة هيكلة السلطة بعد أن تم تفكيك بنائها بقوة الآلة العسكرية الإسرائيلية وفق صيغة تجعلها أكثر طواعية للإملاءات الأمريكية والإسرائيلية، والثاني: هو الإعداد لمؤتمر إقليمي دولي لترسيم وقوننة الوقائع الجديدة على الأرض، والناجمة عن العدوان وتوظيفها لإعادة رسم معالم التسوية السياسية. (20) بالتالي يعتبر الجدار أخطر مخططات الضمّ في الأراضي الفلسطينية منذ عام (1967).

تشكل المستوطنات المجاورة للخط الأخضر والتي هدفها إلحاق الأراضي المتموضعة عليها، بأراضي إسرائيل وبالتالي زحف الخط الأخضر باتجاه الشرق من خلال تقدم الجدار شرقاً لاحتضان هذه المستوطنات. وهدفه التحكم الأمني بالمجمّعات

السكانية الفلسطينية الرئيسية. أيضاً جاء بناء الجدار؛ ليحتضن المستوطنات المتموضعة على خط تقسيم المياه، أي في أعالي الضفة الغربية، وهدفها كـ«موقع استراتيجي» أمني بمعنى أن دور هذه المستوطنات هو منع المدن الفلسطينية من استغلال مواضعها المشرفة على السهل الساحلي حيث تتمركز الأنشطة الإسرائيلية الأكثر حيوية. وامتد بناء الجدار والاستيطان على طول نهر الأردن، والهدف جيواستراتيجي عسكري وأمني. كما القدس والخليل ومحيطهما، بغرض التهويد والضم، وإفراغهما من سكانهما الأصليين ومحاصرة (النمو الديمغرافي).  
كل ما سبق يتيح لإسرائيل المزيد من الوقت للمناورة في الحل النهائي، ويدخل المفاوض الفلسطيني في جزئيات ومataهات جديدة خاصة فيما يتعلق بالقدس. وبذلك تنكشف الإستراتيجية الإسرائيلية من وراء بناء الجدار، فمثلاً: ما زالت القدس الشرقية عربية، لذا يرون أنه يجب التخلص من سكانها العرب؛ لتوسيع السيطرة الجغرافية للمستوطنين، وتحويل القدس إلى عاصمة في قلب الدولة العبرية، وتسعى إسرائيل إلى توسيع الممر بين الساحل والغور وضم المستوطنات خارج حدود القدس إليها، وعندما يتم تشكيل الممر وعرضه بين (20-15) كم ستفصل شمال الضفة عن جنوبها بشكل كامل. (31) وهذا كله عبّر عنه خبير إسرائيلي بطبوغرافية الضفة الغربية عندما قال إن الجدار جزء من سلسلة أمنية حصينة تعتمد اعتماداً كبيراً على الأراضي (ابتدأت بإقامة خط من المستوطنات على طول غور الأردن ثم تواصلت بزرع نقاط استيطان إستراتيجية في عمق الأراضي الفلسطينية، وبعد ذلك محاولة تجميع جميع هذه النقاط في خطوط من الحواجز المتفرقة والمتعرجة) (32).

أمني الأمر الذي سيجعل من (19) تجمعاً سكانياً يسكنه (128,500) فلسطيني محاصرين في مناطق وبؤر معزولة.

× سيشكل الجدار عامل إعاقة لحركة المواطنين الفلسطينيين وقدرتهم على الوصول إلى حقوقهم أو الانتقال إلى القرى والمدن الفلسطينية الأخرى لتسويق بضائعهم ومزروعاتهم ومنتجاتهم.

× سيؤدي بناء الجدار العازل إلى الفصل بين (36) تجمعاً سكانياً شرق الجدار يسكنه (72,200) فلسطيني وبين حقوقهم وأرضهم الزراعية التي تقع غرب الجدار العازل، كما يعمل الجدار على تحويل هذه المناطق إلى مناطق منكوبة اقتصادياً بضائع الاستثمارات الحالية.

× تأثر النظام التعليمي والصحي الفلسطيني، جراء هذا الجدار العازل الذي سيمنع المدرسين والتلاميذ من الوصول إلى مدارسهم، ومستشفياتهم خاصة وأن المعلمين يصلون من خارج هذه القرى، وسيلحق الضرر بـ (170) ألف طالب في (320) مدرسة سيكونون خارج الجدار، فيما سيرتاد أكثر من نصفهم مدارس داخل الجدار، خاصة في المرحلة الأساسية العليا، فعلى سبيل المثال هناك (150) مدرساو (650) طالبا في طولكرم وحدها يجدون حالياً صعوبة في الوصول إلى مدارسهم، وهناك توقعات بأن تتضاعف النسبة مع اكتمال الجدار. (33)، ووجد حوالي (14,000) فلسطيني من (17) تجمعاً سكانياً أنفسهم محاصرين بين الجدار العازل و الخط الأخضر، وحوالي (20,000) فلسطيني في الشمال من حوالي (3175) عائلة سيجدون أنفسهم في شرق الجدار، بينما أرضهم الزراعية تقع إلى الغرب من هذا الجدار. وأخيراً اقترَب شارون قبل رحيله عن الحياة السياسية من تحقيق هدفه بإزالة (الخطر الديمغرافي) مما أدى إلى إخراج مليون ونصف المليون فلسطيني في غزة من المعادلة الديمغرافية

## الأبعاد الجيوسياسية والديمقراطية لجدار

### الفصل على الفلسطينيين

1. على قضايا الوضع النهائي «الناحية الجيوسياسية» / فمن شأن هذه التغيرات التي رسمها بناء الجدار العازل على خريطة الضفة الغربية خلق واقعاً جديداً على النظام الجغرافي الفلسطيني، والذي سيؤثر بشكل مباشر على قضايا الوضع النهائي المتمثلة في القدس والحدود والمياه والمستوطنات، بالتالي يعد بناء الجدار حلاً مرضياً لجمهور كبير من المستوطنين؛ لأنه يفضي إلى ضم (57) مستوطنة من مستوطنات الضفة الغربية و (303) ألف مستوطن إلى إسرائيل، وتعد هذه المستوطنات من المستوطنات الكبيرة ستخضع لمفاوضات الوضع النهائي .

2. على حياة السكان الفلسطينيين «الناحية الجيو ديمغرافية والعقائدية» / لأنّ بناء الجدار يقوم على دواعي (جيواستراتيجية وحيوسياسية) وليس أمنية، بالدليل أنه يمر بأراضي الضفة الغربية مما يعني أنه سيؤثر على حياة (680000) فلسطيني يسكنون (67) قرية ومدينة بالضفة الغربية، حيث أن «13 تجمعاً سكانياً يسكنه (11700) فلسطيني، سيجدون أنفسهم سجناء في المنطقة ما بين الخط الأخضر و الجدار العازل، لأن الجدار الفاصل يؤثر على:-

× حرية العبادة لدى الفلسطينيين، فمنذ حصار أعوام (2002-2003) وسياسة الإغلاق في السنوات العشر الماضية مستمرة بمنع المسلمين والمسيحيين من الوصول إلى أماكن عبادتهم مثلما يحدث في القدس حيث أن الأقلية من الفلسطينيين فقط يستطيعون الوصول إلى الأماكن المقدسة مثل المسجد الأقصى والحرم الإبراهيمي وكنسية القيامة.

× إرهاب السكان بحواجز وجدران مزدوجة؛ لتشكل عمقا للجدار العازل الفاصل مما يخلق منطقة حزام



أرضها صخرية لا تسمح بتسرب المياه، كما أن بعدها النسبي عن البحر ساعد على ارتفاع درجة المياه التي لا تتأثر بملوحة البحر، وبإقامة الجدار فإنه سيؤثر على البيئة ومصادر المياه حيث تسيطر إسرائيل على 50 بئراً من المياه خلف الجدار، بالتالي فإن الجدار يضم إلى دولة الاحتلال حوالي (95%) من المياه التي تتواجد في الحوض المائي الغربي ومقدارها (362) مليون متر مكعب، مما يؤدي إلى تدهور حالة العديد من العائلات الفلسطينية ودفعها إلى خط الفقر.<sup>(35)</sup> وهذه الخطط بالطبع ستؤدي إلى إحكام سيطرة إسرائيل على الفلسطينيين، ووضع حد نهائي لحلمهم بالاستقلال والهوية، وسوف يتم خنق التوسع الديمجرافي الفلسطيني، بحيث لا يهدد بعد ذلك الهوية اليهودية للدولة الصهيونية، ومن المتوقع أن يفضل كثير من الفلسطينيين الهجرة للبحث عن حياة أفضل، وبمعنى آخر، فإن إسرائيل تفرض واقعاً يتمثل في إقامة نظام عبودية، وفصل عنصري أسوأ ألف مرة من النظام في جنوب أفريقيا، ويبدو أن المحكمة الدولية كانت متنبهة في قرارها الصادر ضد الجدار إلى هذا الوضع، وغني عن البيان أن السؤال الرئيسي هو كيف يمكن تطبيق هذا القرار، وإجبار إسرائيل على تنفيذه.<sup>(36)</sup>

وبهذا يكون الجدار عمل على الحد من النمو السكاني (النمو الديمجرافي) وفرض «هجرة سكانية» اختيارية إلى الخارج، دون ضجة إعلامية، وكذلك ربط الكانتونات الفلسطينية بالأردن على اعتبار عمان هي العاصمة الفلسطينية وليس القدس، وحرمان الكانتونات من النمو الاقتصادي على أن يكون ذلك أيضاً في الأردن كوطن بديل، وكذلك إنهاء قضية اللاجئين على اعتبار أن الأردن عبارة عن تجمع للفلسطينيين وتتجلى الآثار السلبية المترتبة على إقامة الجدار في تهجير السكان من مدينة القدس، حيث تسبب الجدار في تخفيض عدد السكان

بأنسحابه منها وجدار الفصل يهدد الطريق للتخلص من مئات آلاف الفلسطينيين أيضاً.

3. على الاقتصاد والبيئة الفلسطينية / لم يابها شارون ما سيطرته مشروعه الاستراتيجي من تداعيات خطيرة على مستقبل السكان الفلسطينيين، فتلقي التمويل الأمريكي ببناء الجدار الذي يحتاج إلى (9) مليار دولار، ملحفاً الأضرار الفادحة بشتى القطاعات الفلسطينية الزراعية، الاجتماعية والاقتصادية التي تشير إلى أن (2438) مبنى أصبح داخل الجدار لحوالي (1248) أسرة منهم (1119) أسرة في محافظة طولكرم يبلغ عدد أفرادها (42097) فرد، منهم (20498) من الذكور، و(21689) من الإناث، وهذا يعني فقدان مصدر الرزق وفقدان الوظائف حيث فقد حوالي (6.500) وظيفة بسبب تقييد الحركة والإغلاقات الإسرائيلية، ومنع المواطنين خاصة في محافظة طولكرم خلال المرحلة الأولى من الجدار ليرتفع معدل البطالة من (18%) عام (2000) إلى (78%) في ربيع (2003). أيضاً هناك (37%) من هذه القرى تعتمد على الزراعة أصبحت من دون مصدر اقتصادي وبذلك تفقد (50%) من الأراضي المروية و12 كم من شبكات الري تم تدميرها بالإضافة إلى تجريف 5.7% من الأراضي الزراعية المروية تمت خسارتها في شمال الضفة الغربية قبل جني المزارعين للمحصول والاستفادة منه. وسوف تقل تكاليف الإنتاج بالنسبة للشركات الإسرائيلية، التي ستستفيد من كثرة العمال الفلسطينيين الذين لم يترك الاحتلال أمامهم خياراً آخر لكسب الرزق.<sup>(34)</sup>

فالهدف بعيد المدى لهذه السياسة التي تركز على الترحيل والضم وتجريف الأراضي الزراعية وتقييد حرية حركة المواطنين، كما ستمنع حوالي 10.000 من الماشية من الوصول إلى المراعي التي تقع غرب الجدار العازل، ولا ننسى أن الضفة الغربية تحتوي على أجود وأوفر مخزون مياه جوفية، حيث إن



## فوائد الجدار لإسرائيل

تركيزاً للصراع الثنائي والتعامل مع الواقع الإنتربولوجي (التركيب السكاني) للفلسطينيين، فالمنطقة تشهد هجمة إسرائيلية شرسة، من حملات المصادرة والتهويد، والمزيد من الطرق الالتفافية والأسلاك الشائكة، والمستعمرات اليهودية، بالتالي يعمل الجدار على: (39)

1. توفير عمق استراتيجي اتجاه نقطة السهل الساحلي على البحر المتوسط الذي يمثل نقطة ضعف أمنية بالنسبة لإسرائيل لتمرکز الكثافة السكانية ومعظم المنشآت الحيوية، رغم أنه يمثل (16%) من مساحة إسرائيل.

2. الاستيلاء على أجود وأوفر مخزون مياه جوفية في الضفة الغربية، ذات الأرض الصخرية التي لا تسمح بتسرب المياه، كما أن بعدها النسبي عن البحر ساعد على ارتفاع درجة نقاط المياه التي لا تتأثر بملوحة البحر، في حالات عديدة يجري بناء الجدار بجوار مبان سكنية، لمنع الفلسطينيين من أي توسّع في المستقبل. فضلا عن مصادرة معظم الأراضي الفلسطينية على نطاق واسع ومصادرة موارد المياه. ونتيجة لذلك فإن 5% فقط من المياه ستظل تحت أيدي الفلسطينيين، الأمر الذي سيقضي تماماً على الزراعة الفلسطينية. وستكون النتيجة أن يضطر قطاع الزراعة الفلسطيني للتخلي عن العمل الزراعي، وعن الاستقلالية الاقتصادية المترتبة على ذلك، والانخراط في سوق العمل. (40)

3. تأمين الحدود سواء كانت الحدود الشرقية لمنع التواصل عبر الحدود المشتركة بين الفلسطينيين والأردنيين أو حماية حدود الخط الأخضر الذي تقع داخله المدن الإسرائيلية ذات الكثافة السكانية العالية، لأن الدروس المستقاة من الجغرافيا الأمنية والعسكرية، كما التوراتية والمعطيات الجيوستراتيجية، أثبتت هشاشة المنطقة الأمنية

العرب داخل المدينة والحفاظ على ما تسميه إسرائيل بالتوازن الديمغرافي، وهذا ما أكدت عليه «جيسكا مونتل» المدير العام لمركز المعلومات الإسرائيلي لحقوق الإنسان «بتسليم» (37). كما اقترح سوفير تبني إستراتيجية قومية تقوم على الانفصال الأحادي عن الفلسطينيين والمناطق الجغرافية التي تحت سيطرتهم وإلا ستحتفي إسرائيل بهويتها اليهودية - الصهيونية خلال جيل أو جيلين، بالتالي أوصت وثيقة هرتسليا إلى وجوب زيادة فعاليات الهجرة وتشجيعها في إطار الإستراتيجية الديمغرافية الشاملة. وتجدد الإشارة إلى أن هناك مفاوضات في هذه الأثناء تجري من أجل قيام كيانية فلسطينية متحدة مع المملكة الأردنية الهاشمية وأسمها المملكة الأردنية الفلسطينية الهاشمية. وقد وجدت ترحاب من جميع الأطراف المعنية الملك الأردني وإسرائيل والفلسطينيين. وبالاجمال فقد لخص الكاتب الاسرائيلي جدعون ليفي في صحيفة هآرتس في (1/5/2003) الآثار السياسية والاقتصادية والأخلاقية الإنسانية على الفلسطينيين بالقول ( الاسرائيليون لا يملكون تصورا للثمن الذي سيدفعه الفلسطينيون جراء هذا الجدار، فبعد المستوطنات والمواقع الاستيطانية والطرق الالتفافية والمصادرات والطوق والاغلاق والبطالة وحظر التجول تسقط على رأسهم هذه المصيبة، والتي تطال آلاف السكان الذين يقطنون في منطقة الجدار والذين أصبحوا ضحايا بدون ذنب اقترفوه، الفلاحون الذين صودرت حقولهم وكرومهم والرعاة الذين فقدوا مراعيهم .... والقرى التي عزلت عن مصادر عيشها، كل هؤلاء لا يجدون من يكلف نفسه التحقق مما ينتظرهم ومما سيحدث مع حياتهم بعد أن قام جيش من الجرافات باجتياح أراضيهم (38).

والتي كان آخرها خطة خارطة الطريق «رؤية الرئيس بوش».

8. إن خطورة الجدار الفاصل، تكمن في ما سيخلفه من عمليات طرد وهجرة قسرية داخلية في نطاق الضفة الغربية، تمهيداً للترانسفير في سياق «الوطن البديل»، وتوفير فرصة لمزيد من مصادرة الأراضي والاستيطان وتزايد عدد المستوطنين في الضفة الغربية، وربما كان هذا هو الغرض الحقيقي من بناء الجدار، فلو كان الهدف منه أمنياً لاكتفوا ببنائه على طول الخط الأخضر.

9. وفي تقرير صادر عن مكتب تنسيق الشؤون الإنسانية التابع للأمم المتحدة أعلن فيه أن المناطق المبنية بها الجدار، يواجه الفلسطينيون فيها مصاعب اقتصادية من جراء تقييد حرية تنقلهم أو منعهم من الوصول إلى أراضيهم لزراعتها أو لرعي الماشية، كما ويعزل السكان عن شبكات الدعم الاجتماعي، وكشف التقرير أن إصلاح الضرر الناتج عن تدمير الأراضي والممتلكات بسبب بناء الجدار سيتطلب أعواماً كثيرة لتعويضه، وسيؤدي إلى إعاقاة التنمية الفلسطينية، وأفاد أنه لم تصدر لغاية الآن أية دراسة عن الحكومة الإسرائيلية؛ لتقييم أثار الجدار على حياة الفلسطينيين لكن حكمت المحكمة العليا الإسرائيلية بتاريخ 30 حزيران من عام 2004م في قضية بيت سوريك على أنه يجب الأخذ بعين الاعتبار حقوق واحتياجات ومصالح السكان المحليين عند رسم مسار الجدار.<sup>(43)</sup> لذلك تسعى إسرائيل إلى التكر من القوانين والمواثيق الدولية، ولكل قرارات الأمم المتحدة التي لا تجيز احتلال أرض الغير بالقوة المسلحة.

المحاذية إلى طولكرم وقلقيلية، التي يسهل اختراق حدودها وصولاً إلى عمق دولة إسرائيل والمعروفة بـ«عنق الزجاجة» والتي من خلالها يمكن فصل شمال إسرائيل عن جنوبها، وهي الخطة التي وضعتها الجيوش العربية خلال حربها مع إسرائيل.

4. تحقيق المكاسب السياسية من خلال مقايضة ومساومة المفاوضات الفلسطينية بالمستوطنات وبفضايا اللاجئين أو الحدود في المفاوضات الوضع النهائي. ومن الواضح أن ما قامت به إسرائيل خلال المرحلة «ب» من عملية الجدار والتي كانت مرحلتها «أ» تمركزت على اجتياح مناطق السلطة، ثم المرحلة الثانية بإقامة أسوار بالأمر الواقع للمستوطنات تكون - بحسب السياسة الإسرائيلية - هي خارطة أية تسوية نهائية للصراع مستقبلاً، وتكون أيضاً تطبيق لمشروع النجوم السبعة» الاستيطاني الذي أطلقه شارون عام (1993م) إبان توليه منصب وزير المالية<sup>(41)</sup>

5. المشروع يرسم ويحدد حدود القدس الموسعة التي ترغب إسرائيل في إخضاعها لسيطرتها من جانب واحد دون مراعاة لأية قواعد أو اتفاقيات.

6. عزل المدن والقرى الفلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة عن مدينة القدس وضواحيها وقراها وتمزيق الوحدة الجغرافية للأرض، وخلق الأزمات السياسية والاقتصادية والاجتماعية بين المدن والقرى الفلسطينية، الأمر الذي بات يهدد بانفجار كبير في المنطقة خصوصاً في ظل الماطلات الإسرائيلية في تنفيذ استحقاقات اتفاقيات السلام.<sup>(42)</sup>

7. إن استكمال هذا الجدار سيقسم الشمال عن الوسط عن الجنوب، ويجعل الضفة الغربية لا تمثل سوى كتونات منعزلة، و سيؤثر على شكل الدولة الفلسطينية المنتظرة، التي حمتها الاتفاقيات والقوانين الدولية والخطط الهادفة لتسوية الصراع

## القانون الدولي والجدار

من الواضح أن بناء إسرائيل للجدار الفاصل في الأراضي الفلسطينية المحتلة يتعارض مع أحكام القانون الدولي الإنساني؛ لأن بناءه يمس حقوق الإنسان الفلسطيني وممتلكاته، حيث اجتمع المجلس في (14/10/2003) وطرح عليه مشروع قرار ينص باختصار على أن « بناء إسرائيل، السلطة القائمة بالاحتلال، لجدار في الأرض الفلسطينية المحتلة، إخلالاً بخط هدنة (1949)، هو أمر غير قانوني بموجب أحكام القانون الدولي ذات الصلة، ويجب وقفه وإلغاؤه، وبالرغم من قانونية مشروع القرار ومن أن معظم الدول الأعضاء قد صوتوا لجانب المشروع، إلا أن أمريكا استخدمت حق النقد ضده مما أدى إلى إفشاله. وقد نقلت القضية إلى الجمعية العامة في دورتها الاستثنائية الطارئة العاشرة في (21/10/2003) و تقدم أعضاء الاتحاد الأوروبي بمشروع قرار للأمم المتحدة باسم القرار - ( داط 10/13 )- والذي اعتمد بأغلبية ساحقة، وينص القرار على مطالبة إسرائيل « بوقف وإلغاء بناء الجدار في الأرض الفلسطينية المحتلة بما في ذلك القدس الشرقية وحولها، الذي يخرج عن خط الهدنة لعام (1949) ويناقض أحكام القانون الدولي ذات الصلة»، كما طالب القرار الأمين العام أن يقدم تقريراً عن الالتزام بالقرار والنظر في تدابير أخرى إذا اقتضى الأمر في إطار منظومة الأمم المتحدة، بما في ذلك إمكانية طلب فتوى من محكمة العدل الدولية بشأن الآثار القانونية في حالة عدم امتثال إسرائيل للقرار<sup>(44)</sup>. وقد رفضت إسرائيل القرار ومضت قدماً في بناء الجدار وإدامته. وعقدت الجمعية العامة دورة طارئة استثنائية في (8/12/2003) تحت قرار رقم ( داط - 10/14 ) يطلب من محكمة العدل الدولية أن تصدر على وجه السرعة فتوى بخصوص

« الآثار القانونية الناجمة عن بناء الجدار .... » وطلبت المحكمة من الجمعية العامة والدول الأعضاء بما فيها فلسطين لتقديم « بيانات خطية في المسألة » فيها تحليلات قانونية وشاملة لعدم مشروعية الجدار والآثار القانونية الناجمة عن إنشائه. وبدأت المحكمة في الاستماع إلى البيانات الخطية والشفوية لجميع المشاركين في النقاش والبالغ عددهم (53) مشاركاً، وقد تلقت الجمعية العامة الفتوى الصادرة عن محكمة العدل الدولية في (9/7/2007) والتي تقول بعدم قانونية الجدار الفاصل وضرورة وقفه وإزالته، كما وطلبت من الأمين العام للأمم المتحدة حصر الأضرار التي لحقت بالمجتمع الفلسطيني جراء هذا الجدار ودفع التعويضات، وتطلب من إسرائيل ضرورة احترام القانون الدولي؛ لأن الاستمرار في بناء الجدار يعتبر تهديداً للسلام والأمن الدوليين، وخرقاً للأعراف والقوانين الدولية. كما أن حالة الحرب والاحتلال لا يعفيان الدولة المحتلة من مسؤولياتها في احترام حقوق الإنسان في الأرض المحتلة وهي ملزمة باحترام حق الشعوب في تقرير مصيرها<sup>(45)</sup>.

وقد استندت محكمة العدل الدولية على المواد القانونية التالية:

1. بناء الجدار الفاصل يتعارض مع النظام 43 من إتفاقية لاهي لعام (1907) ، حيث ينص على أنه «لايجوز لدولة الاحتلال تغيير الإجراءات التي كانت متبعة قبل بداية الاحتلال . »
2. بناء الجدار يتعارض مع قرار الجمعية العمومية رقم (181) سنة (1947) الذي ينص على إقامة دولتين عربية يهودية .
3. بناء الجدار يتعارض مع ميثاق هيئة الأمم المتحدة سنة (1945) حيث المادة (2) من الميثاق فقرة (4) والتي تنص على أن « يتمتع أعضاء الهيئة جميعاً في علاقاتهم الدولية عن التهديد باستعمال القوة

أي قرية عربية . كما أصدرت المحكمة أيضاً قراراً في (11/ 7/ 2002) يقضي بوقف وتجميد أعمال البناء مؤقتاً في مقطع دير بلوط ورافات والزاوية غرب محافظة سلفيت. وأكدت وزارة الدفاع الإسرائيلية بان المخططين أعادوا رسم مسار جديد للجدار في جنوب الضفة حيث سيسير بمحاذاة الخط الأخضر بدلاً من مروره من الأراضي الفلسطينية وضم المستوطنات جنوب الضفة (47).

### المواقف المحلية والإقليمية والدولية تجاه الجدار

#### 1. الموقف الفلسطيني:

هناك إجماع فلسطيني شعبي ورسمي على رفض وجود الجدار والتصدي له ولآثاره السلبية على الجغرافيا الفلسطينية، وما مسيرات ومظاهرات نعلن وبلعين والمعصره الأسبوعية إلا تعبير فلسطيني لرفض الجدار، كما رفعت دعاوى في المحاكم الإسرائيلية يفوق عددها أربعمائة دعوى لوقف بناء الجدار، من قبل أصحاب الأراضي المصادرة، بينما ينبع الموقف الرسمي الفلسطيني من كون الجدار لا يلتزم بخط الرابع من حزيران (1967م)، ومن ثم يفرض واقعاً يتجاوز قرار (242)، ويكرس وقائع جديدة على الأرض تحول دون قيام دولة فلسطينية متواصلة جغرافياً في الأراضي الفلسطينية، وقد حاولت السلطة الفلسطينية العمل مع الإدارة الأمريكية للحيلولة دون تنفيذه وقد وصفه الرئيس الفلسطيني الراحل ياسر عرفات بأنه (يشكل اعتداءً، وانه من فعل العقل العنصري الصهيوني ويدمر عملية السلام)، أما الوزير الفلسطيني صائب عريقات فيرى أن (إقامة الجدار الفاصل يحول الضفة إلى كانتونات منفصلة وفق برنامج شارون لإقامة دولة فلسطينية على (42%) من مساحتها دون تواصل جغرافي). ولهذا أطلق الفلسطينيون عليه اسم (جدار الفصل العنصري) وتشكلت عند

أو استخدامها ضد سلامة الأراضي والاستقلال السياسي لأي دولة أو على وجه آخر يتفق ومقاصد الأمم المتحدة».

4. يتعارض بناء الجدار مع المادة (47) من إتفاقية جنيف سنة (1949) والتي «تعتبر الاحتلال الحربي حالة مؤقتة تنتهي مع إيجاد تسوية سلمية بما يترتب على ذلك التبعيات القانونية.

5. يتعارض بناء الجدار مع قراري مجلس الأمن 242 و 338 واللذان ينصان على انسحاب إسرائيل من الأراضي التي احتلتها في (4) حزيران لعام (1967).

6. بناء الجدار الفاصل مخالف لاتفاقيتي أوسلو في (13/ 9/ 1993) و (28/ 9/ 1995) حيث تنص ديباجة أوسلو على أن المفاوضات تقود إلى تطبيق قراري مجلس الأمن (242) و (338) بإقامة الدولة الفلسطينية.

7. كما أن بناء الجدار يتعارض وقرار مجلس الأمن (1397) بتاريخ (13/ 3/ 2002) الذي يدعو إلى إقامة دولة فلسطينية إلى جانب دولة إسرائيل .

8. ويتعارض بناء الجدار مع الجهود الدولية لحل النزاع بالطرق السلمية ويضعف آفاق تطبيق خارطة الطريق وانتهاكا لقرار مجلس الأمن (1515) لسنة (2003) الداعي إلى قيام الطرفين الإسرائيلي والفلسطيني لتنفيذ التزاماتها الواردة في خارطة الطريق (46).

وأكدت الحكومة الإسرائيلية أنها تلتزم فقط بقرار المحكمة الإسرائيلية العليا. وكانت المحكمة العليا الإسرائيلية قد أصدرت قراراً في (30/ 6/ 2004) يلزم الجهات المختصة في إسرائيل بتغيير مسار 30 كم من الجدار في شمال غرب القدس، وتغيير مسار الجدار في عدة مقاطع، وكذلك تقريب المسار من الخط الأخضر وعدم الفصل بين السكان الفلسطينيين وأراضيهم وإقامة الجدار على مسافة كم واحد بين

#### × البعد السياسي:

جل الخوف اليميني الصهيوني يتمثل من أن يشكل الجدار الفاصل حدوداً سياسية تؤدي إلى عودة حدود الدولة إلى حدود الرابع من حزيران (1967م)، وكذلك خشية المستوطنين من إبقاء المستوطنات خارج السور، ومن ثم تبقى دون ضم إلى الدولة الصهيونية، ولكن المخطط الجاري حالياً يتجنب هذه المخاوف، من خلال تنفيذ خطة شارون (البنوتساتان) والتي ناقشها مع رئيس وزراء إيطاليا عام (1997م)، والتي تمثل رؤيته للحل السياسي للدولة الفلسطينية على (42%) من مساحة الضفة الغربية، ومن ثم فإن مخطط الجدار يفرض واقعاً سياسياً، ويضمن احتفاظ إسرائيل بالسيادة على غور الأردن حسب خطة أيلون التي عرضت قبل ثلاثين سنة تقريباً (50)، التي تعني في جوهرها فرض الأمر الواقع وتشويه التسوية، مما يحول دون قيام دولة فلسطينية إلا بمواصفات رؤية شارون وأولمرت.

#### × البعد الأيديولوجي والنفسي:

والذي عبر عنه باراك في شعاره الانتخابي «نحن هنا وهم هناك» وكأن ما يجري هو خداع لكافة الأطراف، فعملية الجدار تفصل الشعب الفلسطيني عن الاسرائيلي ذهنياً وعملياً، ومن وجهة نظرهم ينتهي الصراع بين الطرفين.

#### × البعد الديمغرافي (السكاني):

اعتمدت رؤية اليسار في تكريس وجود واستمرار الدولة اليهودية بطبيعتها اليهودية العنصرية خاصة حزب العمل على المعطيات الديمغرافية، وذلك لتوفير مظلة دعم داخلي وخارجي لمشروع الجدار، ويجدر التذكير هنا أن كلاً من سافير وباراك وحاييم رامون وشاحال وبن اليعازر هم من قادة حزب العمل، والذين كانوا خلف فكرة بناء الجدار الفاصل،

الفلسطينيين خشية من أن يتحول الجدار إلى حدود دولية تحت الأمر الواقع في ظل تعثر عملية السلام ويفصل المزارعين عن حقولهم ويعزل الناس الذين يقيمون بين السور والخط الأخضر (48).

#### 2. الموقف العربي:

يتسم الموقف العربي إزاء موضوع الجدار بالضعف وعدم التأثير، حيث فشلت المجموعة العربية في تمرير عدة قرارات تطالب حكومة الاحتلال من خلال مجلس الأمن بوقف بناء الجدار، وذلك بفعل الفيتو الأمريكي، وتوجهت تلك المجموعة إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة، وتوافقت مع الاتحاد الأوروبي على قرار غير ملزم من الجمعية العمومية، وذلك مقابل ثمن سياسي تمثل في إدانة المقاومة باعتبارها إرهاباً والذي فرضته أطراف دولية وأوروبية، بينما اقتصر الموقف الشعبي العربي على مظاهرة يتيمة جرت في الجامع الأزهر (49).

#### 3. الموقف الإسرائيلي:

بعد أن وافقت الحكومة الإسرائيلية على البدء في تنفيذ مشروع الجدار الفاصل، تباينت المواقف الإسرائيلية بين معارض ومؤيد ولا مبالي، حيث شرعت بعض معسكرات السلام مثل حركة ميرتس وحمايم حزب العمل بمعارضته، إذ وصفه يوسي بيلين بأنه مضيعة للوقت والأموال، وظهرت معارضة اليمين الإسرائيلي المتطرف للجدار الفاصل ومن بينهم زعيم حزب الغدال الجنرال احتياط إيفي إيتام وأوساط يمينية أخرى، والسبب في معارضتهم للجدار أنهم يروا أن إقامة الجدار تعني العودة إلى حدود عام (1967) وإقامة حدود بين إسرائيل والدولة الفلسطينية.

ولتحديد الرؤية الصهيونية المتعلقة بالجدار وتأثيراتها لا بد من استعراض الأبعاد التالية:

التقلب على الدوام، وأصبحت الآن تطالب إسرائيل فقط بتغيير مساره، كونه يتوغل بعمق في أراضي الضفة الغربية. وتخشى من أن ذلك سوف يهدد المفاوضات المستقبلية ويجعل من المستحيل تطبيق حل الدولتين.<sup>(51)</sup> وكالعادة فإن دولة إسرائيل حظيت بالفيديو الأمريكي، فقبل الإعلان عن رأي المحكمة الدولية القاضي بهدم الجدار كانت تل أبيب قد طلبت من واشنطن (استخدام الفيديو ضد أي مشروع قرار حول الجدار)<sup>(52)</sup>.

### الخاتمة

وعليه فإن هذه الدراسة توضح مجموعة من الحقائق تبين المخاطر التي تتهدد الفلسطينيين ديمغرافياً وجغرافياً و سياسياً واجتماعياً واقتصادياً، وتذكر الأجراس عالياً لتنبه الضمائر، من أجل العمل على استثمار الإمكانات المتاحة من الطاقات لمواجهة المصير المؤلم، لا سيما بعد سلوكيات حكومات الاحتلال المتتالية على مدى الأعوام الماضية والتي تمثلت بتوسيع المستوطنات القائمة فضلاً عن بناء الجدار العازل بين الضفة الغربية وإسرائيل الذي من شأنه أن يقوض الحل القائم على دولتين فلسطينية وإسرائيلية، وتتطابق الإجراءات الأحادية التي تتخذها إسرائيل على الأرض مع إستراتيجية إسرائيل تجاه تقزيم الكيان السياسي الفلسطيني وحشد أكبر عدد من الفلسطينيين على أصغر رقعة من الأرض، وعلى شكل كتنتونات وعلى مساحة في أحسن أحوالها (45%) من مساحة الضفة الغربية، في ظل الحديث عن كيانية فلسطينية متحدة مع المملكة الأردنية الهاشمية تحمل مسمى « المملكة الأردنية الفلسطينية الهاشمية »

وبالتالي فإن حزب العمل يعتبر أن الليكود يقوم بتنفيذ أفكارهم.

× البعد الأمني:

أمن دولة إسرائيل هو الذريعة المعلنة لبناء الجدار؛ وذلك لفشل كل الوسائل التي استخدمتها إسرائيل لوقف كافة أشكال المقاومة، وبالتالي بدل أولوياته واتجه نحو بناء الجدار لتحقيق الهدف الأمني وأهداف أخرى.

× البعد الاستيطاني:

تهالك الاحتلال على ضم أكبر قدر ممكن من المستوطنات في إطار الجدار ينفي دواعيه الأمنية، وثبت بدلا منها الاعتبارات الاستيطانية لهذا صار مساره متعرجاً بطريقة تحوي العدد الكبير من المستوطنات، وبما يتيح المجال لمزيد من الاستيطان في المناطق المحصورة بين ثناياه. ولأن الأرض جوهر الصراع في عقيدة الأحزاب الإسرائيلية السياسية، ومن ثم فإن مصادرة أكبر قدر من الأرض وضمها فعلياً إلى الكيان الصهيوني هو إجراء روتيني لكل حكومات إسرائيل، وذلك تهديداً لفرض الأمر الواقع مستقبلاً، لذا تعد نتائج مسار الجدار بصورته الحالية هي إحدى الجوانب التطبيقية لهذه النظريات، حيث صودرت وحوصرت عشرات آلاف الدونمات، بين الجدار والخط الأخضر، كمرحلة أولى نحو المصادرة والضم بعد تفرغها من سكانها.

المواقف العالمية:

لا يختلف موقفها وتأثيرها عن الموقف العربي، ويقتصر على التحذير من عواقب الجدار على التسوية وفرص إحلال السلام في المنطقة، وما يتركه الجدار من معاناة على الشعب الفلسطيني دون أن يترتب على ذلك خطوات عملية عقابية. ويسودها



الصادرة في 30 نيسان أبريل 2006 على مسار الجدار».

4. الداعور، سيد محمد، الجدار الإسرائيلي في الضفة الغربية، هل هو سياج أمي؟ أم جدار فصل عنصرى، <http://www.al-jazirah.com.sa/magazine/17022004/almlf-sais2.htm>

5. الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، كتاب فلسطين الإحصائي السنوي رقم 9، رام الله، ص 231-248.

6. قيس، عبد الكريم وآخرون، السور الواقى، ص 243.

7. المركز الصحافي الدولي، جدار الفصل العنصرى عقدة - الغيتو - الصهيوني، مرجع سابق.

8. سفر التكوين، الاصحاح 9-12/5.

9. سفر التثنية، الاصحاح 4-34/1.

10. سفر التكوين، الاصحاح 7-4 سفر الخروج، الاصحاح 12-34/11.

11. سفر الخروج، الاصحاح 12-34/11.

12. سفر التثنية، الاصحاح 3-15/1.

13. جورجى كنعان، العنصرية اليهودية، ص 60.

14. ايلين بابه، التطهير العرقى في فلسطين، بيروت، ص 279-280.

15. كيالي، عدنان «الصهيونية حركة عنصرية»، ص 36.

16. الشوبكي، بلال، الجدار الفاصل الدوافع والآثار، أنظر: [http://www.asharqalarabi.org.uk/markaz/m\\_abhath-j.htm](http://www.asharqalarabi.org.uk/markaz/m_abhath-j.htm)

17. بشارة، عزمى، الجدار، أنظر: <http://www.alarabnews.com/alshaab/GIF/04-07-2003/Azmi.htm>

18. الخيمة العربية، أبعاد وأثار الجدار العازل، أنظر: <http://www.khayma.com/shwaikah/azel.htm>

## التوصيات

× تصعيد الاحتجاجات السلمية، فمظاهرات نعلين يمكن أن تكون بشكل أشمل وأوسع وسيلة ضغط على الاحتلال.

× التركيز على الصورة الإنسانية التي أوجدها الجدار محولا العديد من التجمعات السكانية إلى مناطق معزولة عن وحدتها المترابطة جغرافياً.

× استثمار الإعلام باعتباره وسيلة ميسرة ومنتشرة، من خلال برامج مدروسة وهادفة موجهة ترسخ الهوية الوطنية لكشف زيف هذا الاحتلال الحقيقي الذي يتغنى دائماً بالديمقراطية.

× دعم صمود المزارعين وربطهم بالأرض والحفاظ على وتيرة النمو الديموغرافى الحالية وتنتهج سياسة للحفاظ على وجودنا السكانى.

× دعم مشاريع الإسكان للفلسطينيين قرب الخط الأخضر؛ لمنع أي زحف استيطانى صهيونى مستقبلاً.

× خلق رؤية موحدة في مواجهة الاحتلال؛ لدعم القرار الفلسطينى، وإنهاء الانقسام الجغرافى السياسى التى تستغلها إسرائيل لتواصل العدوان .

× العمل على إجهاض نظرية لا مجال لإقامة دولة فلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة.

× الربط بين إزالة الجدار وتحقيق الأمن والسلام.

## الهوامش

1. المركز الصحافي الدولي، جدار الفصل العنصرى عقدة - الغيتو - الصهيوني تعود من جديد..

2. غنايم، محمد السيد، جدار الفصل الإسرائيلى، أنظر: <http://www.aljazeera.net/NR/exeres/B3A0CE56-A466-49D3-BBA8-3F8FF07FEAAE.htm>

3. موسوعة ويكيبيديا، الموسوعة الحرة «تحليل تمهيدى للتأثيرات الإنسانية على ضوء التعديلات



19. الشوبكي، بلال ، الجدار الفاصل الدوافع والآثار، أنظر: [http://www.asharqalara-bi.org.uk/markaz/m\\_abhath-j.htm](http://www.asharqalara-bi.org.uk/markaz/m_abhath-j.htm)
20. الخيمة العربية، أبعاد وأثر الجدار العازل، أنظر: <http://www.khayma.com/shwaikah/azel.htm>
21. التفجكي، خليل، الجدار يهدف إلى السيطرة على الأرض المحتلة، أنظر: <http://aljazeera.net/NR/exeres/74CA7286-94B9-4FFE-AB87-9039897E5E9E.htm>
22. قيس عبد الكريم وآخرون، السور الواقى، ص243.
23. المركز الصحافي الدولي «جدار الفصل العنصري عقدة - الغيتو- الصهيوني تعود من جديد.
24. قيس عبد الكريم وآخرون، مرجع سابق ص28.
25. موسوعة ويكيبيديا، الموسوعة الحرة، تحليل تمهيدي، للتأثيرات الإنسانية على مسار الجدار.
26. الداعور، سيد محمد، الجدار الإسرائيلي في الضفة الغربية، هل هو سياج أمني؟ أم جدار فصل عنصري، مقال، -، <http://www.al-jazi-rah.com.sa/magazine/17022004/alm-lfsais2.htm>
27. مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، تقرير بعنوان، الجدار الفاصل، ص12-14.
28. الشوبكي، بلال ، الجدار الفاصل الدوافع والآثار، مرجع سابق.
29. تيسير، خالد، الجدار.. اخطر مراحل المشروع الصهيوني الاستيطاني، مقال .
30. قيس، عبد الكريم وآخرون ، السور الواقى، مرجع سابق، ص30.
31. خليل التفجكي، الجدار يهدف إلى السيطرة على الأرض المحتلة، حوار، مرجع سابق.
32. بكدار، الآثار القانونية لبناء الجدار في الأراضي المحتلة، ص95.
33. سلامة، أحمد عبد الفتاح، أثر جدار الفصل العنصري على الشعب الفلسطيني، ص13.
34. مجلة عدالة الإلكترونية، جدار الفصل العنصري في الضفة الغربية، ص16.
35. سلامة، أحمد عبد الفتاح، أثر جدار الفصل العنصري على الشعب الفلسطيني، ص12، مرجع سابق.
36. مجلة عدالة الإلكترونية، جدار الفصل العنصري في الضفة الغربية، ص28، مرجع سابق.
37. سلامة، أحمد عبد الفتاح ، أثر جدار الفصل العنصري على الشعب الفلسطيني، ص20، مرجع سابق.
38. قويدر، رشيد ،مجلة صامد الاقتصادي، ص157.
39. سلامة، أحمد عبد الفتاح، أثر جدار الفصل العنصري على الشعب الفلسطيني، ص22، مرجع سابق.
40. مجلة عدالة الإلكترونية «جدار الفصل العنصري في الضفة الغربية، مرجع سابق.
41. أبعاد وأثر الجدار العازل، أنظر: <http://www.khayma.com/shwaikah/azel.htm>
42. قيس، عبد الكريم وآخرون ، السور الواقى، مرجع سابق، ص54.
43. أبعاد وأثر الجدار العازل، أنظر: <http://www.khayma.com/shwaikah/azel.htm>
44. بكدار، الآثار القانونية لبناء الجدار في الأراضي المحتلة، ص95.
45. <http://ods-adds-ny.un.org>
46. صحيفة القدس، 2009، 4/2.
47. باسيا، ط248، 2003، (2002).

48. صحيفة القدس، 21/9/2003 .htm
49. صحيفة الحياة الجديدة، 25/10/2003 .
50. الزرو، نواف، قبل ان تصبح الدولة الفلسطينية مستحيلة، ص 26، 48.
51. اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية، مقال، أنظر: <http://www.nbprs.ps/inf/page.php?do=show&action=wall45c>
52. الشوبكي، بلال ، الجدار الفاصل الدوافع والآثار، مرجع سابق .
- المصادر والمراجع**
1. بابه ،ايلين ،التطهير العرقي في فلسطين ،مؤسسة الدراسات العربية،بيروت ،2007.
2. باسيا،ط، 2003، 248، (2002).
3. بشاره ،عزمي «الجدار» مقال منشور على موقع العرب نيوز «»، أنظر: <http://www.alarab-news.com/alshaab/GIF/04-07-2003/Azmi.htm>
4. بكدار، الآثار القانونية لبناء الجدار في الأراضي المحتلة، القدس، 2004.
5. التفجكي ،خليل ،الجدار يهدف إلى السيطرة على الأرض المحتلة ، حوار على الجزيرة نت، أنظر: <http://aljazeera.net/NR/exeres/74CA7286-94B9-4FFE-AB87-9039897E5E9E.htm>
6. تيسير خالد، الجدار.. اخطر مراحل المشروع الصهيوني الاستيطاني، مقال ، نقلاً عن موقع بوابة العرب.
7. الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، كتاب فلسطين الاحصائي السنوي رقم 9 ،رام الله، 2008.
8. الخيمة العربية، أبعاد وأثار الجدار العازل، دراسة على موقعها الالكتروني، أنظر: <http://www.khayma.com/shwaikah/azel>.
9. الداعور ،سيد محمد ،الجدار الإسرائيلي في الضفة الغربية، هل هو سياج أمني ؟ أم جدار فصل عنصري»، مقال، الجزيرة نت ، قسم البحوث <http://www.al-jazirah.com.sa/magazine/17022004/almlfsais2.htm>
10. الزرو ،نواف ،قبل ان تصبح الدولة الفلسطينية مستحيلة، موقع عرب 19/5/2007 .
11. سفر التكوين، الاصحاح 9-12/5 .
12. سفر التثنية، الاصحاح 1-34/34 .
13. سفر التثنية، الاصحاح 3-15/15 .
14. سفر الخروج، الاصحاح 12-34/11 .
15. سفر التكوين، الاصحاح 47.
16. سلامة ،أحمد عبد الفتاح ،أثر جدار الفصل العنصري على الشعب الفلسطيني، مركز الشرق العربي للدراسات الحضارية والإستراتيجية، دراسة خاصة بالجدار في موقع كلمات.
17. الشوبكي ،بلال ، الجدار الفاصل الدوافع والآثار، مركز الشرق العربي للدراسات الحضارية والإستراتيجية- لندن دراسة، أنظر: [http://www.asharqalarabi.org.uk/markaz/m\\_abhath-j.htm](http://www.asharqalarabi.org.uk/markaz/m_abhath-j.htm)
18. صحيفة الحياة الجديدة، 25/10/2003 .
19. صحيفة القدس، 21/9/2003 .
20. صحيفة القدس، 2/4/2009 .
21. غنايم ،محمد السيد ،جدار الفصل الإسرائيلي، مقال، الجزيرة نت ، قسم البحوث والدراسات، أنظر: <http://www.aljazeera.net/NR/exeres/B3A0CE56-A466-49D3-BBA8-3F8FF07FEAAE.htm>
22. قويدر ،رشيد ،مجلة صامد الاقتصادي ،دار الكرمل للنشر، عمان ،عدد 135 ، 2004.
23. قيس ،عبد الكريم وآخرون ، السور الواقعي ، التقدم العربي للصحافة والطباعة والنشر، بيروت،

2003م .

24. كنعان، جورج، العنصرية اليهودية، دار النهار للنشر، بيروت، 1983.

25. كيالي، عدنان، الصهيونية حركة عنصرية، أبحاث ندوة طرابلس حول الصهيونية والعنصرية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1976.

26. اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية، المكتب الوطني للدفاع عن الأرض ومقاومة الاستيطان، مقال، أنظر: <http://www.nbprs.ps/inf/page.php?do=show&action=wa> ll45c

27. مجلة عدالة الإلكترونية، جدار الفصل العنصري في الضفة الغربية، آثاره الاقتصادية والاجتماعية وانعكاساته السياسية على مستقبل الشعب الفلسطيني، دراسة، العدد الثالث / يوليو 2004.

28. مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، تقرير بعنوان، الجدار الفاصل... لماذا هو جدار حدودي - توسعي وليس امني كما يدعون، 2007-12-14.

29. الصحافي الدولي «جدار الفصل العنصري عقدة - الغيتو- الصهيوني تعود من جديد.. وتطبق على الفلسطينيين بتواطؤ مخجل من العالم، دراسة نقلاً عن مركز الشرق العربي للدراسات الحضارية والإستراتيجية.

30. موسوعة ويكيبيديا، الموسوعة الحرة، تحليل تمهيدي، للتأثيرات الإنسانية على ضوء التعديلات على مسار الجدار الصادرة في 30 نيسان أبريل 2006.

31. <http://ods-adds-ny.un.org>.